@ 130 @ هو قائم يصلي في المحراب ! 2 2 ! أي : اسمه الكلمة التي من ا عيسى بن مريم فكانت بشارته بهذا النبي الكريم تتضمن البشارة ب عيسى بن مريم والتصديق له والشهادة له بالرسالة فهذه الكلمة من ا كلمة شريفة اختص ا بها عيسى ابن مريم وإلا فهي من جملة كلماته التي أوجد بها المخلوقات كما قال تعالى إن مثل عيسى عند ا كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقوله ! 22 ! ! 2 2 ! أي : هذا المبشر به وهو يحيى سيد من فضلاء الرسل وكرامهم والحصور قيل هو الذي لا يولد له ولا شهوة له في النساء وقيل هو الذي عصم وحفظ من الذنوب والشهوات الضارة وهذا أليق المعنيين ! 2 2 ! الذين بلغوا في الصلاح ذروته العالية قال ! 2 2 ! فهذان مانعان فمن أي طريق يا رب يحصل لي ذلك مع ما ينافي ذلك قال : ! 2 2 ! فإنه كما اقتضت حكمته جريان الأمور بأسبابها المعروفة فإنه قد يخرق ذلك لأنه الفعال لما يريد الذي قد انقادت الأسباب لقدرته ونفذت فيها مشيئته وإرادته فلا يتعاصى عى قدرته شيء من الأسباب ولو بلغت في القوة ما بلغت قال ! 2 ! 2 ليحصل السرور والاستبشار وإن كنت يا رب متيقنا ما أخبرتني به ولكن النفس تفرح ويطمئن القلب إلى مقدمات الرحمة واللطف قال ! 2 2 ! و في هذه المدة اذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار : أول النهار وآخره فمنع من الكلام في هذه المدة فكان في هذا مناسبة لحصول الولد من بين الشيخ الكبير والمرأة العاقر وكونه لا يقدر على مخاطبة الآدميين ولسانه منطلق بذكر ا وتسبيحه آية أخرى فحينئذ حصل له الفرح والاستبشار وشكر ا وأكثر من الذكر والتسبيح بالعشايا والأبكار وكان هذا المولود من بركات مريم بنت عمران على زكريا فإن ما من ا به عليها من ذلك الرزق الهني الذي يحصل بغير حساب ذكره وهيجه على التضرع والسؤال وا تعالى هو المتفضل بالسبب والمسبب ولكنه يقدر أمورا محبوبة على يد من يحبه ليرفع ا قدره ويعظم أجره ثم عاد تعالى إلى ذكر مريم وأنها بلغت في العبادة والكمال مبلغا عظيما فقال تعالى | (42 - 44) ! 2 2 ! أي : اختارك ووهب لك من الصفات الجليلة والأخلاق الجميلة ! 2 2 ! من الأخلاق الرذيلة ! 2 2 ! ولهذا قال صلى ا عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فنادتها الملائكة عن أمر ا لها بذلك لتغتبط بنعم ا وتشكر ا وتقوم بحقوقه وتشتغل بخدمته ولهذا قالت الملائكة : 2 ! 2 ! أي أكثري من الطاعة والخضوع والخشوع لربك وأديمي ذلك ! 2 2 ! أي صلي مع المصلين فقامت بكل ما أمرت به وبرزت وفاقت في كمالها ولما كانت هذه القصة وغيرها من

أكبر الأدلة على رسالة محمد صلى ا عليه وسلم حيث أخبر بها مفصلة محققة لا زيادة فيها ولا نقص وما ذاك إلا لأنه وحي من ا العزيز الحكيم لا بتعلم من الناس قال تعالى ! 2 ! 2 2 ! 2 ! حيث جاءت بها أمها فاختصموا أيهم يكفلها لأنها بنت إمامهم ومقدمهم وكلهم يريد الخير والأجر من ا حتى وصلت بهم الخصومة إلى أن اقترعوا عليها فألقوا أقلامهم مقترعين فأصابت القرعة زكريا رحمة من ا به وبها فأنت يا أيها الرسول لم تحضر تلك الحالة لتعرفها فتقصها على الناس وإنما ا نبأك بها وهذا هو المقصود الأعظم من سياق القصص أنه يحصل بها العبرة وأعظم العبر والاستدلال بها على التوحيد والرسالة والبعث وغيرها من الأصول الكبار | (45 - 58) ^ (إذ قالت الملائكة يا مريم إن ا يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين * أي له الوجاهة والجاه العظيم في الدنيا والآخرة عند الخلق ومع ذلك فهو عند ا من المقربين الذين هم أقرب الخلائق إلى ا وأعلاهم درجة وهذا بشارة لا يشبهها شيء من البشارات ومن تمام هذه البشارة أنه يكلم الناس في المهد فيكون تكليمه آية من آيات ا ورحمة منه بأمه وبالخلق و و كذلك يكلمهم كهلا أي في حال كهولته وهذا تكليم النبوة والدعوة والإرشاد فكلامه في المهد فيه آيات وبراهين على صدقه ونبوته وبراءة أمه مما يظن بها من الظنون السيئة وكلامه في كهولته فيه نفعه العظيم للخلق وكونه واسطة بينهم وبين ربهم في وحيه وتبليغ دينه وشرعه ومع ذلك فهو من الصالحين الذين أصلح ا قلوبهم بمعرفته وحبه وألسنتهم بالثناء عليه وذكره وجوارحهم بطاعته وخدمته قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر وهذا من الأمور المستغربة قال كذلك ا يخلق ما يشاء ليعلم العباد أنه على كل شيء قدير وأنه لا ممانع لإرادته إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب أي جنس الكتب السابقة والحكم بين الناس ويعطيه النبوة و يجعله رسولا إلى بني إسرائيل ويؤيده بالآيات البينات والأدلة القاهرة حيث قال إني قد جئتكم بآية من ربكم تدلكم أني رسول ا حقا وذلك أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن ا وأبرىء الأكمه وهو ممسوح العينين الذي فقد بصره وعينيه والأبرص وأحيي الموتى بإذن ا وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك المذكور لآية لكم إن كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة فأيده ا بجنسين من الآيات والبراهين والخوارق المستغربة التي لا يمكن لغير الأنبياء الإتيان بها والرسالة والدعوة والدين الذي جاء به وأنه دين التوراة ودين الأنبياء السابقين وهذا أكبر الأدلة على صدق الصادقين فإنه لو كان من الكاذبين لخالف ما جاءت به الرسل ولناقضهم في أصولهم وفروعهم فعلم بذلك أنه رسول ا وأن ما جاء به حق لا ريب فيه وأيضا فقوله ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم أي لأخفف عنكم بعض الآصار والأغلال فاتقوا ا وأطيعون إن ا ربي وربكم فاعبدوه وهذا ما يدعو إليه جميع الرسل عبادة ا

وحده لا شريك له وطاعتهم وهذا هو الصراط المستقيم الذي من يسلكه أوصله إلى جنات النعيم فحينئذ اختلفت أحزاب بني إسرائيل في عيسى فمنهم من آمن به واتبعه ومنهم من كفر به وكذبه ورمى أمه بالفاحشة كاليهود فلما أحس عيسى منهم الكفر والاتفاق على رد دعوته قال نادبا لبني إسرائيل على مؤازرته من أنصاري إلى ا قال الحواريون أي الأنصار نحن أنصار ا آمنا با واشهد بأنا مسلمون وهذا من منة ا عليهم وعلى عيسى حيث ألهم هؤلاء الحواريين الإيمان به والانقياد لطاعته والنصرة لرسوله * ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول وهذا التزام تام للإيمان بكل ما أنزل ا ولطاعة رسوله فاكتبنا مع الشاهدين * لك بالوحدانية ولنبيك بالرسالة ولدينك بالحق والصدق فلما أحس عيسى منهم الكفر وهم جمهور بني إسرائيل فإنهم مكروا بعيسى ومكر ا بهم وا خير الماكرين * فاتفقوا على قتله وصلبه وشبه لهم عيسى فقبضوا على من شبه لهم به وقال ا لعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا فرفعه ا إليه وطهره من الذين كفروا وصلبوا من قتلوه ظانين أنه عيسى وباؤوا بالإثم العظيم وسينزل عيسى بن مريم في آخر هذه الأمة حكما عدلا يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبع ما جاء به محمد صلى ا عليه وسلم ويعلم الكاذبون غرورهم وخداعهم وأنهم مغرورون مخدوعون وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة المراد بمن اتبعه الطائفة التي آمنت به ونصرهم ا على من انحرف عن دينه ثم لما جاءت أمة محمد صلى ا عليه وسلم فكانوا هم أتباعه حقا فأيدهم ا ونصرهم على الكفار كلهم وأظهرهم بالدين الذي جاءهم به محمد صلى ا عليه وسلم وعد ا الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية ولكن حكمة ا عادلة فإنها اقتضت أن من تمسك بالدين نصره ا النصر المبين وأن من ترك أمره ونهيه ونبذ شرعه وتجرأ على معاصيه أن يعاقبه ويسلط عليه الأعداء وا عزيز حكيم وقوله ثم إلى مرجعكم